

خروج دون صفقة أسوأ السيناريوهات لاقتصاد بريطانيا وأوروبا

لندن - تتجه دراما خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي نحو نزوة جديدة في وقت حرج يمر به اقتصاد المنطقة، وتهدد بإثارة الفوضى لأصحاب الأعمال والشركات بينما ينزلق جزء كبير من القارة نحو الركود. إن خطوة رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، بتعليق البرلمان لمدة أسبوع قبل الموعد النهائي لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في 31 أكتوبر، تعني أن المشركين لن يكون لديهم متسع من الوقت لترتيب القوانين لمنع البلاد من الخروج من الاتحاد الأوروبي دون عقد صفقة. والخروج دون صفقة يعتبر أسوأ السيناريوهات التي حاول الطرفان تجنبها منذ التصويت على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي قبل ثلاث سنوات. ويرى الكثير من الخبراء أن أنها نتيجة محتملة.

ويستشرق الاقتصاديون مستقبلا كارثيا بالنسبة للشركات وأصحاب الأعمال: من حيث فرض تعريفات جديدة على التجارة بين بريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي، والتفتيش الحدودي للأشخاص والتجارة، وفقدان تراخيص العمل بشكل مفاجئ، وظهور عدد لا يحصى من المشاكل التنظيمية.

كل هذا سيحدث في وقت يعاني فيه الاقتصاد الأوروبي بالفعل من ضربة قوية وحالة من عدم اليقين بشأن الحرب التجارية بين الصين والولايات المتحدة، مع وقوف ألمانيا في منتصف الطريق نحو الركود.

ويقول أندرو كينينغهام، كبير الاقتصاديين الأوروبيين في شركة كابيتال إيكونوميكس في لندن، "كان من الممكن أن تتعامل ألمانيا مع رحيل بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي بهدوء قبل عامين، لكنها ستعرض لضربة شديدة إذا حدث الخروج دون صفقة خلال الشهرين المقبلين".

ولكن أوروبا ستذهب إلى حيث تذهب ألمانيا، وإلزاميا بعد أن تراجع أكبر اقتصاد في الاتحاد الأوروبي في الربع الثاني من هذا العام. ويتوقع الكثير من المحللين أن يتراجع مرة أخرى في الربع الثالث، وكنيجة لذلك سيتم تصنيفه على أنه يمر بحالة من الركود.

فألمانيا، أكثر من معظم الدول الأوروبية، تعتمد اعتمادا كبيرا على الصادرات والتصنيع، وقد تلقت ضربة قوية من الحروب التجارية، إذ تسببت حرب التعريفات بين الولايات المتحدة والصين في تراجع معظم الشركات حول العالم عن الاستثمارات والشحن حيث يتسارعون: أين سيتم توقيع الزيادات الضريبية التالية؟

إن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي دون صفقة سيضعف مخاوف الشركات الأوروبية. ويقول الاقتصاديون إن بريطانيا ستسحق في حالة ركود أيضا، حيث قدر البعض أن اقتصادها قد يتراجع بنحو 3 بالمئة.

إن إيطاليا، التي لم يتم اقتصادها على الإطلاق في الربع الثاني من هذا العام وتعتمد بشكل كبير على الصناعات التحويلية والصادرات، قد تبدأ في التراجع أيضا. وقد اجتمعت حكومة جديدة مركزية في إيطاليا هذا الأسبوع، مما خفف المخاوف من أن الإدارة اليمينية يمكن أن تخلق المزيد من الخلاف في الاتحاد الأوروبي بشأن قضايا مثل الديون والهجرة،

وقد يسوء الوضع أكثر إذا تدخل الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، لجعل الأمور أسوأ بالنسبة للاقتصاد الأوروبي من خلال فرض تعريفات على السيارات، وهي صناعة ضخمة في المنطقة، وخاصة في ألمانيا.



طاعون بريكست يهتفون بريطانيا والاتحاد الأوروبي



المقاتلون الأجانب قنابل موقوتة

مخاطر تقاطع الميليشيات والمقاتلين الأجانب في ليبيا

الصحراء الأفريقية ملغمة بإرهاب عابر للحدود

التبعية، وهم فرع من فرعين من شعوب التبو، إلى الجنوب لدعم ميليشيات الوفاق، حيث بدأ مقاتلون من قبيلة تيدا من البلدين يلحقون بجماعات التبو المسلحة في ليبيا، وهنا لا يمكن الفصل بين مسار التبو في ليبيا، والتبو في تشاد والنيجر، فالعلاقات العائلية قوية في الحدود بين مختلف هذه القبائل والجماعات. لكن الملاحظ أن تحرك البعض من شباب تيدا في تشاد والنيجر نحو ليبيا وقتالهم المشترك في الزاوية وصولا إلى الكفرة، ومن أولاد سليمان وصولا إلى سبها والطوارق في أوباري، قد يعقد أوضاع الجنوب الليبي إذا نجح المتطرفون في بث الفتنة. لكن تجدر الإشارة إلى أن تكون التبو الليبي الوطني يرفض تحالف الميليشيات الإسلامية مع المرتزقة التشادية والسودانية، ويرفض العتب بالكون الاجتماعي للجنوب، وبث المتطرفين للفتنة بين قبائل التبو (5 بالمئة) والطوارق (20 بالمئة) والعرب (غالبية السكان).

تشير تقارير دولية إلى أن عدد المقاتلين الأجانب القادمين من تشاد بلغ في "القوة الثالثة" في عام 2015 حوالي 1200 مقاتل، ينتمي جزء منهم إلى جماعة متطرفة يتزعمها محمّد نوري الذي كان آنذاك لاجئا في فرنسا، والذي بعث إلى مصراتة قريبا له يدعى محمّد مهدي علي للإشراف عليهم هؤلاء، لكن هذا الأخير استغل غياب الأول ليثبت نفسه قائدا عسكريا على جزء من هذه القوات، وما لبث أن قام بتكوين جماعة متطرفة جديدة انفصلت عن القوات التي ظلت ودية لمحمت نوري. ثم ما لبث أن انشق التنظيم الثاني بدوره في منتصف عام 2016، وأعلن الفريق الجديد رغبته في الإطاحة بنظام ادريس دبي في ليبيا، وأطلق على نفسه اسم "مجلس القيادة العسكري من أجل خلاص الجمهورية".

توجد علاقة تأثير متبادل بين مقاتلي جماعة دارا التشادية وفي النيجر، حيث جرت محاولة إسقاط هؤلاء المقاتلين من طرف إبراهيم الجنزوران سابقا في المثلث النقطي منذ 2014، وعملت الجماعات المسلحة في الزنتان على إغرائهم بالالتحاق بصقوفها، حيث ظهر واضحا ذلك في تجنيد ميليشيات مصراتة المسلحة وحكومة طرابلس في نهاية 2014 مقاتلين تشاديين من خلال تجميعهم في قاعدة قريبة من منطقة الجفرة، وإحاقهم بالقوة العسكرية الثالثة التي أوكلت إليها مهمة مراقبة جزء هام من فزان قبل انسحابها مضطرا.

وبالتالي، يجد المقاتلون الأجانب من تشاد في ليبيا مساو ووظائف عديدة بحسب الطلب (مرتزقة، تسهيل عبور الهجرة غير الشرعية، تجارة المخدرات، تهريب الأسلحة...).

عمدة المدينة، ومقتل أكثر من 27 جنديا في منطقة كوتوغو شمال بوركينا فاسو. كما أبرمت تحالفات عقدتها الميليشيات في ليبيا مؤخرا مع مقاتلين من التبو وتنظيمات تشادية متمردة بغية فتح جبهة أخرى مع الجيش الليبي في الجنوب.

إن ميليشيات بهانغا الانفصالية في مالي هي تحت إمرة إبراهيم أغ بهانغا توسع من دائرة تحالفها مع حركة الأزواد الوطنية، كما أن انخراط حركات دارفورية مسلحة ومرترقة من تشاد في صراع الفرقاء الليبيين، جعل من شمال شرق غرب السودان جسرا لعبور الإرهاب من ليبيا إلى السودان ومصر، وذلك باستغلال الوضع السوداني الداخلي الحالي. أما في الجنوب الليبي، فظهر الصراع جليا بين ميليشيات طوارق وفروع قبيلة التبو ومرترقة من تشاد تسعى كلها إلى التحكم في مسالك تجارة التهريب الحدودية.

إن تأثير الصراع الليبي في مجمل بلدان المنطقة بدأ كبيرا جدا، فالأزمة التي تعرفها بلدان الساحل والصحراء تؤثر هي أيضا في ليبيا، حيث خسرت مالي كليا مراقبة الجزء الشمالي من الوطن الأم لصالح جماعات الطوارق المسلحة (الحركة الوطنية لتحرير الأزواد، وأنصار الدين) والجماعات الإسلامية (القاعدة، موجاو)، التي سيطرت كليا على معابر التهريب (عين خليل، بر، تباتكرت).

مآلات الأزمة الليبية

أسهمت المعارك الرئيسية على المسرح الليبي في اتساع دائرة التهديد وظهور فاعلين جدد، حيث نجم عن معركة تحرير سرت من التنظيمات الإرهابية تشتتت وهروب الداعشين إلى الحدود التونسية على شكل بؤر ومجموعات صغيرة عددا، لكنها تظل منتشرة ومتناثرة على نطاق واسع جغرافيا.

إن معركة تحرير طرابلس إن جاءت لاستكمال تحرير الهلال النقطي وحقول الجنوب، وتطهير بنغازي من جماعات الإرهاب، وتحرير درنة وصولا إلى مرزق، وحيازة عدة نقاط استراتيجية في كل من ترهونة، وغريان، وصرمان، وصبواته، والهيرة جنوب طرابلس مؤخرا، فإنها كشفت أن وجود العاصمة الليبية في حماية الميليشيات، لن يساعد على لتي عقدت في باريس وباليرمو (نوفمبر 2018) وصولا إلى أبو ظبي (فبراير 2019)، بل أصبح يعقد أي تسوية داخلية بفعل ضعف حكومة الوفاق وفي ظل تنافس ونزاع أربع ميليشيات حول مراكز النفوذ في العاصمة.

إن الحدث الأهم اليوم، هو قدوم مقاتلين، ينتمون إلى قبائل التبو (تيدا) ودارا (غران) من النيجر وتشاد (يتحدثون

يمكن وصف الفترة الحالية في دول الساحل والصحراء الأفريقية بأنها الأكثر اضطرابا في التاريخ الحديث للمنطقة، ويتجلى مكن هذا الاختلال في التغيرات العميقة التي أصابت المنطقة منذ ظهور الميليشيات الإسلامية المسلحة على المسرح الليبي، بالإضافة إلى توطين شبكات من المقاتلين الأجانب على حدود دول الساحل والصحراء، حيث التحق جزء كبير منهم بالصراع الليبي لأسباب ظرفية أو استراتيجية.

فضلا عن محور الغرب حيث القادمون من تونس إلى منطقة سرت، أو من الجزائر بخاضة الذين يستهدفون منطقة غات والقطرون، بالإضافة إلى محور الجنوب الشرقي حيث القادمون من شمال غرب السودان عبر مثلث العوينات المصري- الليبي- السوداني، ثم المحور الشرقي المفتوح على تسرب القادمين من غزّة عبر الاتفاق، والهاجرين من مصر عبر واحات الصحراء الغربية إلى الشمال الشرقي الليبي، وخاصة إلى درنة وطبرق، وبنغازي (الحدود المصرية- الليبية ممتدة إلى 1150 كم).

إرهاب في ست دول

إزاء هذا السياق وتطوراته في محور تسريب تعد الأضعف في جغرافية ليبيا، والتي تطل على حدود ست دول، تبقى أغلب هذه المحاور غير مؤمنة بدرجات كافية، وبعضها يعاني من ثغرات كبيرة نظرا لكبر مساحة ليبيا وقلة سكانها. ورغم الأرقام المتضاربة حول أعداد المقاتلين الأجانب، تشير إحصاءات الجيش الأميركي في 2016 إلى 4000 و6000 مقاتل، أغلبهم كان في مدينة سرت معقل داعش السابق.

شكل التونسيون في ما مضى حصة الأسد من المنتمين إلى داعش، بالإضافة إلى حضور مقاتلين من مصر، والجزائر، والمغرب، والسودان، والصومال. لكن الجديد في الأمر لا يكمن في حضور هذه الجنسيات بل في حضور أعداد لا يستهان بها من دول الساحل والصحراء، خاصة من السنغال، وغامبيا، وغانا، ومالي، والنيجر، وتشاد، وإريتريا، ونيجيريا، التي تقدر حصة كل منها بين 100 و150 مقاتلا داخل كل من الميليشيات والجماعات الجهادية الليبية على حد.

لا شك في أن كل هذه التهديدات مجتمعة، يمكن أن تدفع المسرح الإقليمي إلى استمرار الحرب الأهلية التي تمزق ليبيا، واستنفال الصراع المستمر في منطقة الأزواد شمال مالي، واتساع دائرة نشاط بوكو حرام في بحيرة تشاد، بالإضافة إلى اتساع نطاق الهجمات المتكررة لتنظيم داعش في الصحراء الكبرى، وخاصة على حدود النيجر في منطقة تونغو- تونغو كما وقع مؤخرا، فم الهجوم الدامي الذي وقع في منطقة إينانتس الحدودي وما تلاه من اغتيال

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة فاسين،
باريس 8

ويتوقع أن يؤدي خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى عقد اتفاق يدمم من 5 إلى 10 سنوات من المقرب من المدة التي استغرقتها الاتحاد الأوروبي للتفاوض مع كندا، وهي دولة أخرى في الكومنولث وقبها الاقتصادية والسياسية قريبة جدا من أوروبا.

والاتحاد الأوروبي ككل هو أكبر شريك تجاري لبريطانيا، حيث يمثل ما يقرب من نصف تجارتها الدولية. بالنسبة لبقية الاتحاد الأوروبي، تمثل بريطانيا حوالي 20 بالمئة من التجارة. أما الولايات المتحدة فتمثل 18 بالمئة من صادرات المملكة المتحدة و 11 بالمئة من الواردات.

والدول الأوروبية الأكثر تعرضا لتعطيل التجارة مع بريطانيا هي الدول الأصغر والأقرب ولديها موانئ تنقل التجارة إلى الجزر البريطانية: مثل هولندا وبلجيكا وإيرلندا. وتاجر فرنسا وألمانيا أيضا بكثافة مع بريطانيا، لكنها من الاقتصادات الأكبر التي ستعاني بشكل أقل نسبيا. وفي حين أن التأثير المباشر سيكون أكثر تواضعا خارج أوروبا، فإن الخسوف بشأن تداعيات مثل هذا الوضع من المرجح أن تهز الأسواق وتؤثر على الاقتصاد العالمي الضعيف.

كما دعا صناع السياسة في البنك المركزي الأوروبي الحكومات إلى إنفاق المزيد إذا أمكنهم تحمل ذلك. وتعد ألمانيا، التي تحقق فائضا، أحد الأمثلة على ذلك.

وقد يسوء الوضع أكثر إذا تدخل الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، لجعل الأمور أسوأ بالنسبة للاقتصاد الأوروبي من خلال فرض تعريفات على السيارات، وهي صناعة ضخمة في المنطقة، وخاصة في ألمانيا.

من الواضح جدا أن الكثير من الشبكات التي أقامها المقاتلون الأجانب القادمون من مالي، وتشاد، والنيجر أو السودان التحقت بالميليشيات المسلحة الليبية سواء بتجنيدهم كمرتزقة، تقدم لها هذه الأخيرة نظير خدماتها دعما مدفوع الأجر بأشكال شتى، أو يتم توظيفها غالبا في الجنوب الليبي بسبب الخلل الديمغرافي في هذه المنطقة لخلط أوراق النزاع بين مكوناته الإثنية والقبلية.

وتشير الاعتداءات في الجنوب الليبي من طرف ميليشيات تشادية مدعومة بحركات جهادية إلى أن ازدياد تجنيد المقاتلين الأجانب، يمكن أن يلعب دورا كبيرا تصعب السيطرة عليه في المستقبل القريب عبر المحاور التالية: محور الجنوب الغربي الذي أصبح دائرة تحرك للفارين من مالي عبر النيجر إلى ليبيا، ومحور الجنوب الذي يمكن أن يضم عناصر من قبائل "التبو" من شمال تشاد، وعناصر من حركة بوكو حرام عبر شمال الكاميرون إلى تشاد جارة جنوب ليبيا،